فكرغارودي بين الاتجاهات الدينية والاتجاهات السياسية المعاصرة

م.د. ياسر محمد عبدالله محمود

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وهب من شاء ما شاء من نعمه، وأفاض على من اصطفاهم من عباده وابل كرمه وَمنَنِهِ، أشكره–سبحانه–هدانا سبيل الرشاد، وأصلّي وأسلّم على أفصح ناطق بالضاد، وأجلّ دالٍّ على الله وهاد، سيدنا محمد ذي المقام الأسمى، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، الذين اجتمعت قلوبهم على حبّه واتباعه...أما بعــد:–

تنقلّ غارودي بين عقيدة مسيحية موحدة وبين الماركسية أولوجته الاشتراكية الحديثة؛ وبين الإسلام الذي كان عنده في نهاية المطاف، مع اعترافه بأن اختياره للإسلام لا يعني انكاره للمسيحية ولا الماركسية، بل هو نوع من التركيب أتاح له ان يستقي من كل دعوة خلاصتها ومن كل عقيدة صفوتها، اذ انه لم يتفقه في الدين الإسلام، بل كانت ثقافته خليط من المذاهب العقلانية المفسرة للقرآن بالأهواء والمنكرة لكثير من السنة النبوية، وخلط ذلك بفلسفات وآراء المتصوفة، وقد كان له نشاطاً في الحوار بين أتباع الديانات باسم الإبراهيمية، وله مقصد حسن، فيها وعليه مؤاخذات كثيرة، وقد ألف بعد إسلامه بعض الكتب، مثل: كتاب (ما يَعِدُ به الإسلام) وهو أشهر كتبه بعد ملف إسرائيل (الإسلام يسكن مستقبلنا)، والواجب علينا تجاه غارودي العدل الذي أمر الله به، واتباعنا للوسطية التي هي دين الإسلام، اذ اننا نحب الرجل ونواليه لأجل إسلامه وتفهمنا للبيئة التي نشأ بها، وتقدير إخلاصه وتفانيه وما يتعرض له بسبب محاربته للصهيونية، ومع ذلك فإن ذلك لا يصحح انحرافاته وأخطائه، بل نحذر منها ولا نتبعه فيها، ولا أنصح من حيث العموم بقراءة كتبه إلا للمتخصصين.

والمعروف ان غارودي طُرد من الحزب الشيوعي الفرنسي، لأنه اول من تجرأ وقال: ان الاتحاد السوفياتي ليس بلداً اشتراكياً، وبهذا خرج على ماركسيته بوصفه وطعنه للاشتراكية التي هي علتها ومسوّغ وجودها، وكذلك لم يخرج على المسيحية– لأنه فقد الايمان بها– في مهاجمته للكنيسة باعتباره بأنها اقامت (تكنلوجيا السيطرة) ولم تكن وفيّة لتعاليم السيد المسيح، كما هاجم البابوات لانهم برأيه يدعمون الديكتاتوريات العسكرية ولا يقفون الاّ الى جانب الأغنياء والأقوياء والحكام، وقد توجه غارودي نحو الإسلام وكذلك نقده لهذا الدين، من خلال الصورة المثالية التي اوجدها لنفسه والنموذجية تجاه العقيدة الإسلامية والتي رأى بانها لم تترجم في يوم من الأيام او عهد من العهود كحقيقة متعالية او كمعنى احادي او كأصل الصفاء والنقاء او كنموذج في غاية الاكتمال والتمام.

ولا ينبغي الظن ان روجيه غارودي لكونهُ فرنسياً يمارس حريته في التفكير والتعبير بصورة كاملة ومطلقة انه غير منتقداً وغير محاسباً، فهو بالرغم من انتمائه لبلد غربي- يعتبر من ركائز الديمقراطية في العالم- حيث الحريات (الشكلية) مضمونة والنظام ديمقراطي، فقد جرت ادانته لكلامه على (اسطورة المحرقة) فأعتبر مخالفاً للقانون ورافضاً للاجتماع، ومُنع من نشر كتبه التي ينتقد فيها المشروع الصهيوني والسياسة الامريكية، ومنع من الظهور الاعلامي في كل الوسائل الاعلامية، وكذلك حكم عليه بالسجن لسنة واحدة مع ايقاف التنفيذ، ومن هذا كان موضوع بحثي الموسوم (فكر غارودي بين الاتجاهات الدينية والاتجاهات السياسية المعاصرة) .

خطة البحث:

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة:-

التمهيد: حياة المفكر الفيلسوف المستشرق (روجيه غارودي) .
المبحث الاول: غارودي ونقده للفكر العلماني (الاقتصادي والسياسي) .
المبحث الثاني: غارودي نقده للسياسات الغربيــة (تجاه العلم التجريبي) .
المبحث الثالث: غارودي والدين الإسلامي (تجاه الفكر الاسلامي).

أما الخاتمة فقد أوجزت فيها أهم النتائج التي توصلت من خلال هذا البحث.

وأخيرًا فما كان في هذا البحث من صواب فهو من الله وحده، فله الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، وما كان فيه من خطأ وخلل فمنى ومن الشيطان من غير قصد ولا تعمد، والله ورسوله منه براء، وحسبي أنى اجتهدت في التعلق بالأسباب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب { رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا} [البقرة: ٢٨٦]، والله من وراء القصد وهو أعلى وأعلم، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

تمهيد : حياة المفكر الفيلسوف المستشرق (روجيه غارودي) :

اولا: اسمه وحياته:

هو روجيه غارودي، وبالفرنسية (Roger Garaudy)، وبعد اسلامه سمي بـ (رجاء غارودي)، ولد في يوليو ١٩١٣م، في فرنسا لأم كاثوليكية وأب ملحد، اعتنق البروتستانتية* وهو في سن الرابعة عشرة، درس في كل من جامعة مرسيليا وجامعة إيكس أون بروفانس وانضم إلى صفوف الحزب الشيوعي الفرنسي، وفي عام ١٩٣٧ عُيِّن أستاذا للفلسفة في مدرسة الليسيه من ألبي عام ١٩٣٧[١].

وخلال الحرب العالمية الثانية أُخذ كأسير حرب لفرنسا الفاشية في الجلفة بالجزائر بين ١٩٤٠ و ١٩٤٢، وفي عام ١٩٤٥ انتخب نائبا في البرلمان، وصدر أول مؤلفاته عام ١٩٤٦، حصل غارودي على درجة الدكتوراه الأولى سنة ١٩٥٣ من جامعة السوربون عن النظرية المادية في المعرفة، ثم حصل على درجة الدكتوراه الثانية عن الحرية عام ١٩٥٤ من جامعة موسكو، طرد من الحزب الشيوعي الفرنسي سنة ١٩٧٠م وذلك لتشوقه وتطلعه للمناصب والقيادة ولانتقاداته المستمرة للاتحاد السوفياتي، وفي نفس السنة أسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية وبقي مديرا له لمدة عشر سنوات[٢].

ثانيا: اعتناقه للدين الإسلامي:

اعتنق الاسلامي في ٢ يوليو ١٩٨٢م، فقد أشهر غارودي إسلامه في المركز الإسلامي في جنيف، وكتب بالمناسبة كتابيه "وعود الإسلام" و"الإسلام يسكن مستقبلناً، عرف الجمهور العربي والإسلامي غارودي لأول مرة بهذه المناسبة، فسطع نجمه في المؤتمرات والندوات وضيفاً في المنتديات، لكنه ظل عصياً على الاحتواء والاستحواذ، فأثار بذلك امتعاض وابتعاد الكثير من الدوائر

---

* البروتستانتية: هي أحد مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحي، هي كلمة معناها المحتجين، وتعود أصول المذهب إلى الحركة الإصلاحية التي قامت في القرن السادس عشر هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية، وهي اليوم واحدة من الانقسامات الرئيسية في العالم المسيحي جنبًا إلى جنب الكنيسة الكاثوليكية والأرثوذكسية الشرقية؛ ينظر: كتاب دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة (الكنائس الشرقية الكاثوليكية)، مجموعة من المؤلفين، دار الشروق، مصر – القاهرة ، ط١، ٢٠١٠م، ٤٧/٢ .

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ، ٨٧٥/٢ .

(٢) ينظر: موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net ، تم تحميله في/ ربيع الأول ١٤٣٣ هـ على المكتبة الشاملة.

الإسلامية عندما انتقد بشدة تيارات الفكر الإسلامي المعاصرة، معلناً أنه لم يتخلى باعتناقه الإسلام عن جوهر المسيحية وكُنْه بالماركسية(١).

ان سبب إسلامه يعود إلى تاريخ ١٩٤١ عندما كان سجيناً في الجزائر من قبل النازية الألمان، وكان برفقة ٥٠٠ مناضل قاموا بعصيان في السجن، فأمر قائد السجن حاملي الرشاشات (وقد كانوا من الجزائريين المسلمين) أن يطلقوا النار على السجناء، فرفضوا.. ولم يفهم روجيه وقتها سبب رفضهم، وبعد فترة علم من قائد جزائري مسلم انه قال: أنّ شرف المحارب المسلم يمنعه أن يطلق النار على انسان أعزل، يقول: كان هذا التصرّف أول مرّة أتعرف فيها على الإسلام وعلّمني أكثر من الذي تعلمته في جامعة السوربون.. ويقول: لم أُسْلِم بمحض الصدفة بل بعد معاناة وبحث ورحلة طويلة (٢).

وحاول معمر القذافي استمالته في مشروع لنشر الإسلام في أوروبا، وتهجم بعض العلماء السعوديين عليه وتكفيرهم له استناداً لبعض المقولات الفلسفية والصوفية التي لم يستوعبوها حسب قوله؟ فقاطع المنتديات الإسلامية، وانسحب بتجربته الدينية ومقاربته الخاصة للإسلام إلى مدينة قرطبة الإسبانية التي أنشأ فيها متحفاً يؤرخ للتراث الأندلسي ولتجربة التعايش النادرة بين أتباع الديانات السماوية في الأندلس(٣).

وتزوج من فتاة فلسطينية مسلمة من عائلة معروفة واسمها سلمى نورالدين، والّف كتباً تجاوزت العشرين في معالجة قضايا الإسلام و الحضارة الغربية، واصبح معروفاً في جميع الأوساط الإسلامية لمكانته وثقافته وايمانه بأن الإسلام هو الحل الأمثل لمشاكل البشرية (٤).

ثالثاً: معاداته للصهيونية:

بعد مجازر صبرا وشاتيلا في لبنان أصدر غارودي بيانا احتل الصفحة الثانية عشرة من عدد ١٧ حزيران ١٩٨٢ من جريدة لوموند الفرنسية بعنوان معنى العدوان الإسرائيلي بعد مجازر لبنان وقد وقع البيان مع غارودي كل من الأب ميشيل لولون والقس ايتان ماتيو. وكان هذا البيان بداية صدام غارودي مع المنظمات الصهيونية التي شنت حملة ضده في فرنسا والعالم(٥).

---

(١) ينظر: مجلة البيان (٢٣٨ عددا)، تصدر عن المنتدى الإسلامي (رقم الجزء، هو رقم العدد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد المطبوع) "روجيه جارودي، جريدة: الرأي العام، العدد: (١١٩١٨) ، (د- ط)، (د- ت)، ١٤٤/ ٩٨ .

(٢) ينظر: مستقبل الإسلام خارج أرضه، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط١، (د- ت)، ٧٥ .

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٧٥ .

(٤) ينظر: مجلة البيان (٢٣٨ عددا)، "روجيه جارودي، جريدة: الرأي العام، العدد: (١١٩١٨) "، ١٤٤/ ٩٨ .

(٥) ينظر: الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية، روجيه غارودي، ترجمة: محمد هشام، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨م، ٤٤.

فتحوّل بعد هذا الموقف من ضيف دائم على المحطات الإذاعية والتلفزيونية وأعمدة الصحف، إلى شخصية قاطعتها الصحف اليومية الفرنسية، فلم تنشر أي موضوع له، وفي عام ١٩٩٨م أدانت محكمة فرنسية غارودي بتهمة التشكيك في محرقة اليهود في كتابه "الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل"، حيث شكّك في الأرقام الشائعة حول إبادة يهود أوروبا في غرف الغاز على أيدي النازيين. وصدر بسبب ذلك ضده حكم بالسجن لمدة سنة مع إيقاف التنفيذ(١).

رابعا: فكره:

استغرق غارودي ما يقرب من الخمسين صفحة الأولى في كتابه في استعراض تحولاته الفكرية الشخصية؛ وهو يقول: ((مرت حياتي بانشقاقات لا آسف على أي منها؛ لأنها ليست إنكارًا لما سبق ولكنها تجاوز لحد ما)) (٢)، ولقد نشأ غارودي في أسرة فرنسية ملحدة لكنه اعتنق البروتستانتية في الرابعة عشر من عمره، ثم انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي في الثانية والعشرين حتى أصبح عضوًا في اللجنة المركزي للحزب الشيوعي الفرنسي، وفي الوقت ذاته كان رئيسًا لجمعية الشبان المسيحيين البروتستانت، وفي عام ١٩٨٧م دعا المفكر الفرنسي روجيه غارودي عقب إعلانه اعتناق الإسلام إلى الملتقى الإبراهيمي في قرطبة، واتخذ من (القلعة الحرة) مقراً لمؤسسته ومتحفه ومناشطها التلفيقية التوحيدية(٣).

ويقول غارودي: ((إنني عندما أعلنت إسلامي لم أكن أعتقد بأني أتخلى عن مسيحيتي ولا عن ماركسيتي، ولا أهتم بأن يبدو هذا متناقضاً أو مبتدعاً))(٤)، ويقول: ((هذا النضال هو نضال كل أصحاب العقيدة أو المؤمنين بعقيدة، مهما يكن نوع إيمانهم، ولا يهمني ما يقوله الإنسان عن عقيدته: أنا مسلم، أو: أنا مسيحي، أو: أنا يهودي، أو: أنا هندوسي))(٥).

---

(١) ينظر: أمريكيا طليعة الانحطاط، روجيه جارودى، تقديم: كامل زهيري– تعريب عمرو زهيري، دار الشروق، مصر– القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م، ٢٤.

(٢) كيف نصنع المستقبل، روجيه جارودي، ترجمة وتقديم: د. منى طلبه – د. انور مغيث، دار الشروق، مصر– القاهرة ، ط٣، ٢٠٠٢م، ٤٨.

(٣) المصدر السابق: ٤٨ .

(٤) وعود الاسلام، روجيه جارودي، د. ذوقان قرطوط، دار البينة، بيروت، ط ١، ١٩٨٥م، ٥٩.

(٥) فكر جارودي بين المادية والإسلام (نقد كتابات روجيه جارودي في ضوء الكتاب والسنة)، عادل التل، دار البينة، بيروت، ط٢ ، ١٩٩٧م، ١٤ .

* الامبريالية: هي سياسة توسيع السيطرة او السلطة على الوجود الخارجي وصيانة الامبراطوريات، وقد بدأت الامبريالية الجديدة بعد عام ١٨٦٠م عندما قامت الدول الاوربية الكبيرة باستعمال الدول الاخرى. اطلق هذا التعبير في الاصل على انكلترا وفرنسا اثناء سيطرتهما على افريقيا... واما الرأسمالية: فهي نظام اقتصادي ونمط إنتاج يقوم على مبادئ الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج والمبادرة الفردية والمنافسة الحرة وتقسيم العمل وتخصيص الموارد عبر آلية السوق دون الحاجة إلى تدخل مركزي من الدولة؛ ينظر: الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki

وظلّ ملتزما بقيم العدالة الاجتماعية التي آمن بها في الحزب الشيوعي، ووجد أن الإسلام ينسجم مع ذلك ويطبقه، وظلّ على عدائه لـ (الإمبريالية والرأسمالية)*، وبالذات لأمريكا. وفي كتاب (الإسلام دين المستقبل) يقول غارودي عن شمولية الإسلام: ((أظهر الإسلام شمولية كبرى في استيعابه لسائر الشعوب ذات الديانات المختلفة، فقد كان أكثر الأديان شمولية في استقباله للناس الذين يؤمنون بالتوحيد وكان في قبوله لأتباع هذه الديانات في داره منفتحا على ثقافاتهم وحضاراتهم والمثير للدهشة أنه في إطار توجهات الإسلام استطاع العرب آنذاك ليس فقط إعطاء إمكانية تعايش نماذج لهذه الحضارات، بل أيضا إعطاء زخم قوي للايمان الجديد: الإسلام، فقد تمكن المسلمون في ذلك الوقت من تقبل معظم الحضارات والثقافات الكبرى في الشرق وأفريقيا والغرب وكانت هذه قوة كبيرة وعظيمة له، وأعتقد أن هذا الانفتاح هو الذي جعل الإسلام قويا ومنيعا))[١].

رغم وصف الصحافة الفرنسية والغربية لغارودي بالفيلسوف المعادي للسامية، فإن غارودي لم ينكر حقيقةً المحرقة، ولم يتبنَّ الدعاية النازية، بل أقر بحجم المأساة اليهودية وبحرب الإبادة النازية ضد اليهود ويرهم من الزنوج، أراد غارودي أن يبين أن النازية من حيث هي نزعة عنصرية استعمارية لم تستهدف اليهود وحدهم، وإنما استهدفت شعوباً وقوميات أخرى. كان يقول غارودي أن أحداث المحرقة ضخمت وأعطيت أبعاداً أسطورية غير تاريخية، من أجل توظيفها في صراعات الحاضر. وإن المأساة اليهودية التي تمت بالكامل على المسرح الأوروبي وظفت لحجب حروب الإبادة وجرائم التقتيل والتهجير القسري التي ترتكبها إسرائيل ضد الفلسطينيين[٢].

خامسا: مؤلفاته ومنصبه وجوائزه:

١- مؤلفاته:-

ألف غارودي ما يقارب ثمانية عشر كتاباً، وكانت البداية برواية "البارحة واليوم" عام ١٩٤٥، ثم كتاب "الشيوعية ونهضة الثقافة الفرنسية". ومن أشهر كتبه "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية", و"فلسطين أرض الرسالات السماوية"، و وعود الإسلام...الخ، ولديه عدد كبير من الروايات والمؤلفات باللغة الفرنسية والتي ترجم منها الى العربية قبل اسلامه منها رغم حداثة إسلام غارودي وكثرة المصاعب التي واجهته سواء من حيث اللغة أو الثقافة استطاع أن يؤلف العديد من الكتب منها:-

((البديل، والإرهاب الغربي ٢٠٠٤م، والأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، والإسلام دين المستقبل، والإسلام وأزمة الغرب، والأصوليات المعاصرة: أسبابها ومظاهرها، والشيوعية ونهضة الثقافة الفرنسية، والمسجد مرآة الإسلام، والولايات المتحدة طليعة التدهور (الانحطاط) ١٩٩٧م، وحفر

(١) الإسلام دين المستقبل، روجيه جارودي، ترجمة: عبد المجيد بارودي، دار الإيمان للطباعة والنشر، بيروت، دمشق، (د- ط)، (د- ت)، ٢٤.

(٢) قالوا عن الإسلام، الدكتور عماد الدين خليل، صيد الفوائد: http://www.saaid.net ، ٢٥ .

القبور، وحوار الحضارات، وفلسطين مهد الرسالات السماوية، وكيف أصبح الإنسان إنسانيا، وكيف نصنع المستقبل، ومحاكمة الصهيونية الإسرائيلية، ومستقبل المرأة وغيرها، ووعود الإسلام، وماركسية القرن العشرين))[١].

٢- منصبه:-

شغل روجيه غارودي عدة مناصب في فرنسـا، منها[٢]:-

- عين أستاذا للفلسفة في مدرسة الليسيه من ألبي عام ١٩٣٧.
- كان نائباً في البرلمان من عام ١٩٤٥ م – ١٩٥١ م .
- ثم رئيساً للمجلس الوطني الفرنسي من ١٩٥٦ م – ١٩٥٨ .
- ثم عضواً في مجلس الشيوخ الفرنسي عام ١٩٥٩ م – ١٩٦٢ م .

٣- جوائزه[٣]:-

- نال جائزة الملك فيصل العالمية سنة ١٩٨٥ عن خدمة الإسلام وذلك عن كتابيه (وعود الإسلام)، و(الإسلام يسكن مستقبلنا) ولدفاعه عن القضية الفلسطينية.
- حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة قونية في تركيا سنة ١٩٩٥ .
- وحصل غارودي على ميدالية الشرف لمقاومته الفاشية الهلترية بين عامي ١٩٤١ و١٩٤٤.

سادساً: وفاته:

توفي روجيه غارودي في يوم ١٣ يونيو/حزيران ٢٠١٢م في ضاحية (شامبيني- سور- مارن- الباريسية) وبالفرنسية(Champigny-sur-Marne) وهي بلدية تقع في جنوب شرق ضواحي باريس عاصمة فرنسا، ولم يعثر أصدقاؤه ومحبوه على قبر له، لأن أسرته- حسب روايات عديدة- قررت إحراق جثمانه وعدم دفنه على الطريقة الإسلامية، وهو الأمر الذي فسره كثيرون بأنه تم بضغوط جهات خافت منه حيا وميتا، فاكثر الاقوال تقول بانه لم يدفن في مقابر المسلمين ولا في مقابر المسيح فقد احرق، وصلى عليه صلاة الغائب في اكثر من مكان[٤].

---

(١) موقع دار العلوم عن الكتاب مجموعة من مؤلفي المقالات والابحاث العلمية من الوطن العربي: https://daralolom.blogspot.com

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ٨٧٥/٢ .

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٨٧٧/٢ .

(٤) ينظر: "محاكمة الحرية" روجيه جارودى، تعريب: جاك فيرجيش، دار الفيحاء للدراسة والترجمة والنشر، بيروت، (د- ط)، ١٩٩٨، ١٥؛ وموقع ويكبيديا : https://ar.wikipedia.org/wiki

المبحث الأول :غارودي ونقده للفكر العلماني (الاقتصادي والسياسي):

لم يعمل غارودي الى تحييد الأصولية اليهودية من مشروعهُ النقدي، بل هو تجرأ على ما لم يجرؤ عليه احد سواه، وإذا كان يتطرق في كتابه الى الاساطير التي تأسست عليها العقيدة اليهودية كأسطورة (الشعب المختار) فأنه يتطرق بشكل خاص الى قضية (اوشوتيز)* المتعلقة بالمحافظة التي تعرض لها اليهود ابان العهد النازي في المانيا مشككاً بالرواية اليهودية المعتمدة، سواء لجهة الارقام او لجهة سرد الوقائع او لجهة تفسير الحدث وتأويله(١).

يرى غارودي فيما يتعلق بأرقام ان الضحايا مثلاً، بان الكلام عن الستة ملايين لا اساس لهُ من الصحة، بل هو رقم خيالي تحوّل الى اسطورة وظفها العقل الصهيوني في التأثير على الراي العام العالمي، من اجل تحقيق نبا الدولة الاسرائيلية على أرض فلسطين، مع اعتراف غارودي بأنَّ قتل انسان بريء واحد يُعّد جريمة بحق البشرية جمعاء، ففي ذلك اشارة الى توجهه الاسلامي وايمانه بالقيم الاسلامية المنزلة في القرآن الكريم { مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا } [المائدة: ٣٢]، ومن المعلوم ان قضية (اوشوتيز) باتت عند اليهود من المحرمات التي لا يجوز المساس بها، فالعقل الصهيوني قد اسدل الستار على القضية رافضاً بتاتاً اي اعادة نظر فيها او اي تفسير جديد لها، ويعتبر ان التشكيك بما قيل او كل قول مخالف لما هو مقرر ومسموح به، يعدُّ صاحبه معادياً للسامية ويوصم بأنه منكر جاحد وهي الصفة التي يطلقونها على كل من يحاول نبش الملف وفتحه امام النقاش من جديد (٢).

إن غارودي لا يرى تعارضاً بين الاسلام والمسيحية والماركسية* اذ كلّها تعمل برأيه على تحرير البشر من التسلط والاستقلال وسلب حقوق المستضعفين، ولكي تحقق للأنسان وجههُ الألهي وجوهره

---

* أوشوتيز: هو معسكر الذى أقامه البازى أوشوتيز فى بولندا لسجن المعادين للنظام الألماني ضد اليهود، وقد وقع تمرد في معسكر الاعتقال النازي في أوشوتيز بألمانيا، حيث مئات المعتقلين في غرف الغاز، وقد حاول بعض الأسرى الهروب من معسكرات الاعتقال واتجهوا للغابات، إلا أن القوات النازية تعقبتهم وأطلقت النار عليهم. وقرار الأمم المتحدة بإدراج معسكر «أوشوتيز» ألمانيا ضمن «التراث العالمي» ؛ ينظر: تكنولوجيا الحرب الإعلامية، على الموقع: https://kassioun.org/pdf-archive

(١) ينظر: الاستلاب والارتداد، علي حرب، مطابع فتحي الصناعية، مصر، ط١، ١٩٩٧م، ٣١ .

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٣١ .

* الماركسية: هي ممارسة سياسية ونظرية اجتماعية مبنية على أعمال كارل ماركس الفكرية، وسميت بالماركسية نسبة إلى مؤسسها الأول كارل ماركس، لقد أسس ماركس نظرية الشيوعية العلمية بالاشتراك مع فريدريك إنجلز في وضع الأسس واللبنات الأولى للنظرية الشيوعية، وأصبحت الماركسية اتجاها سياسيا عالميا يسعى إلى إرسائه جزء من الدول المساندة لهذهِ الإيديولوجيا، ومن الجانب الآخر تسعى الدول الرأسمالية إلى تدميرها باعتبارها عدوّا رئيسيّا لها؛ ينظر: الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki

الأنساني، كذلك يرى ان الهدف السامي من وراء بعثة الانبياء (عليهم السلام) هو لتكامل الانسانية على امتداد البشرية من اول الخلق الى بعثة الرسول الخاتم محّمد (ﷺ)، وان الرسالات السماوية مترابطة فيما بينها وهي سلسلة متكاملة من غير الممكن الاستغناء عن حلقه من حلقاتها(١).

وكان هنالك مبالغة في اعداد الضحايا، فعلى سبيل المثال كانت العبارة المكتوبة على اللوحة التذكارية الموضوعة على معسكر اوشفيتس* حتى عام ١٩٩٤ هي (اربعة ملايين من الضحايا) اما اللوحة الجديدة الموجودة حالياً فقد كتب عليها (مليون ونصف المليون تقريباً) كما كان من الضروري تماشياً مع خرافة الملايين الستة من الضحايا، ان تصبح الانسانية جمعاء شريكة في ما يسمى (اكبر عمليه اباده في التاريخ) وان تنسى تماماً ضحايا الابادة للأخرين، ومن هم مثلا (٦٠ مليون) من الهنود الحمر في امريكا و(١٠٠ مليون) من الزنوج (قتل عشره زنوج مقابل كل اسير بيع كعبد)، وان تنسى كذلك هيروشيما وناكازاكي، والقتلى خلال الحرب العالمية الثانية البالغ عددهم نحو(٥٠ مليون من) بينهم (١٧ مليون) من السلافيين، وكأن الهتلرية لم تكن سوى مذبحة واسعة القضاء على اليهود، وليست جريمة في حق الانسانية بأسرها(٢).

فهل نوصم بأننا معادون للسامية لمجرد ان نقول ان اليهود كانوا يتعرضون للضّرب المبّرح بلا رحمة؟ ولكنهم لم يكونوا وحدهم الذين يلقون هذا المصير، بدعوى ان التلفزيون لا يتحدث الاّ عن هؤلاء الضحايا ولا يذكر شيئا عن الضحايا الاخرين، ولكي تكتمل عملية التعمية والتموية، فكان من الضروري استخدام كلمه ذات مدلول لاهوتي مثل الهولوكست* لأضفاء طابع التضحية على المذابح الحقيقية، وادخالها بشكل او باخر في صميم المشيئة الإلهية، شانها شأن عمليه صلب المسيح (٣).

إن غارودي يدعو الى تجديد الفكر الديني باستخدام (الفكر النقدي) الذي هو ثمرة من ثمرات الفكر الفلسفي، لكنهُ يوظف هذا الفكر في الدفاع عن العقل اللاهوتي، أي ما يسميه الاساطير الالهية المؤسسة من للديانات التوحيدية الثلاث(٤).

---

(١) ينظر: الاستلاب والارتداد: ٣٢ .

* معسكر اوشفيتس: اشهر معسكرات الاعتقال التي أقامها النازيون في بولند؛ ينظر: الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki

(٢) ينظر: الاستلاب والارتداد: ٣٢ .

* الهولوكست: كلمة يونانية تعني (لحرق القربان بالكامل) وكانت في الأصل مصطلحاً دينياً يهودياً يشير الى القربان الذي يُقدم للرب على سبيل التضحية ثم يحرق تماماً على المذبح، وهو من اكثر الطقوس قداسة لدى اليهود ، وفي العصر الحديث أصبحت الكلمة تشير الى عملية إبادة اليهود على ايدي النازيين؛ ينظر: الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki

(٣) ينظر: الاساطير المؤسسة للسياسية الاسرائيلية، غارودي، ترجمة: محمد هشام، القاهرة ، ط١، (د- ت)، ١٩-٢٠ .

(٤) ينظر: الاساطير المؤسسة للسياسية الاسرائيلية: ٢١ .

لذلك فان غارودي يرفض الحداثة الغربية، التي يحّملها تبعية ما يشهده العالم من القهر والتفكك والعدمية والكوارث على المستوى الأنساني والتي نتجت بسبب هذا الفكر المُدمر للمجتمع بصورة عامة والاسرة بشكل خاص لهذا يرى ان خلاص البشرية يتم في احياء اليهودية والمسيحية والاسلام في منابعها الأول، ولا ينسى البوذية التي يعتبرها من الهبات الروحية الكبرى التي بلغ بها الانسان انسانيته، ولم يتخل عن العمل على تعويض الماركسية التي في النهاية ديانة حديثة وعقيدة رسولية وعدت الناس بتحقيق الفردوس على طريقتها(١).

وعندما يعّرج على مفهوم الحداثة، يرى ان هذه الكلمة تخص مجموعة من السلوكيات المبهمة، كما في هذه التعاريف التي يراها من وجهة نظره الغربية:-

- حضارة مسيطر عليها في ضوء العلوم والتقنيات.
- عمل برغماتى* مرتبط بحكمه الغاية تبرر الوسيلة، وتسلطت مقوله ((كل الاسئلة لا تستطيع الاجابة عنها هي اسئلة خاطئة بما في ذلك اسئلة الخير والشر))(٢).
- وحدانية شمولية للسوق، اي المال نظام تُختزل فيه كل القيم الى قيم سلعية.
- نمط حياة ((غربي)) يهدف الى تحويل الانسان الى منتج اكثر واكثر فاعلية، مستهلك اكثر شراهة في رغباته تحركهُ مصلحته الفردية فقط (٣).

اذا يتبلور من كل ذلك ان فكرة الانشقاق عن التراث هي المسيطرة على الحداثة ((ان المال والارض والعمل، التي ما عادت تمثل غير وحدات تجارية لا شخصية خاضعة لقوانين العرض والطلب، اصبحت الان تعمل جنباً الى جنب مع غيرها من الآلات ذلك الجهاز الكبير الذي تسيره قوانين الغاب وحدها ، قوانين الصراع بين المصالح الخاصة، والحرية المتولدة عن السوق هي في انقى اشكالها، تسجيل لعلاقات القوة بين شتي ملاك الثروات. فلكل شيء من الان فصاعداً له سعرهُ، وهذا السعر يتجدد بنتائج ذلك القتال الضاري والاعمى الذي يشّنهُ ضد الجميع ، ان كل شيء قابل بأن يشرى ويُباع ، وليس ثمة من شيء تعجز رحى طاحونة الشيطان هذه عن التهامه... يبدو ان الرأسمالية ليست محض نظام اقتصادي، فهذا النظام الاقتصادي يستدعي بالضرورة بنية اجتماعية

---

(١) ينظر: الاساطير المؤسسة للسياسية الاسرائيلية: ٢٢ .

* البرغماتية: وتسمى (الذرائعية) هي كلمة في أصلها اللغوي مشتقة من كلمة يونانية تعني: العمل النافع، أو المزاولة المجدية، ويصبح المقصود منها هو "المذهب العملي"، أو "المذهب النفعي"، فهي مذهب فلسفي يجعل من كل منطلق غاية لتحقيق منفعة سواء كانت فردية أو جماعية، وظهر المذهب بعد التطور الذي شهدته أمريكا في مجال الحياة الاقتصادية، ويعتبر تشارلز ساندرس بيرس «١٨٣٩ – ١٩١٤» المؤسس الاول للبراغماتية؛ ينظر: الموقع https://ar.wikipedia.org/wiki

(٢) إسلامية لا وهابية، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار كنوز أشبيلية، (د– ط)، ١٤٢٥هـ، ٤٣٠.

(٣) ينظر: حفار القبور، روجيه غارودي، ترجمة: عزة صبحي، القاهرة ، ط١، ١٩٩٩، ١٠٣ .

وعلاقات اجتماعية تسلسلية بين السلطة الاقلية المالكة وتبعية اولئك الذين لا يملكون وسائل الإنتاج))[١].

((ان الرأسمالية بتحويلها الارض الى بضاعة والطبيعة الى ماده للأحتكار والمضاربة والاستغلال، قد اباحت لجشع الرأسمال ولـ (حرية المشروع) ولقوانين السوق العمياء لا ارض الملاك العقاريين فحسب؛ بالمجمل بيئة الانسان الحيوية، واقرب الامثلة الينا على ذلك يكمن في مشكلة البناء وتنظيم المدن وتلوث البيئة))[٢].

لقد طرح النظام الرأسمالية بدءاً من اللحظة التي افلح فيها في دمج مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية بالدفاع عن اقتصادياته بأستمرار، طرح مشكلة يستحيل حلّها بمحض وسائل اقتصادية، كأن يغيّر على سبيل المثال تشريع الملكية ... ان المشكلة هي مشكلة وضع حد لدمج الانسان روحاً بالمقتضيات الاقتصادية للرأسمالية، ومن هنا فأن الاشتراكية لا يمكن ان تتصور بدورها على انها محض نظام اقتصادي، والشاهد على ذلك ان القوه النووية تمتلك مخزوناً يوازي اكثر من مليون قنبلة هيروشيما[٣].

(١) البديل، روجيه غارودي، ترجمة: جورج طرابيشي، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨، ٤٣ .

(٢) البديل: ٥٤ .

(٣) ينظر: نحو حرب دينية؟ جدل العصر– روجيه جارودى– دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٧م، ٨٢.

المبحث الثاني: غارودي ونقده للسياسات الغربيـــة (تجاه العلم التجريبي):

إن الانقلاب الذي طرأ على عالمنا منذ خمسة او ستة الاف سنة مع اكتشاف الزراعة والاستقرار في الارض والذي كان البشير بميلاد الحضارة قد ادى الى تكوين مجتمعات ثنائية: الانفصال الطبقي على الصعيد الاجتماعي بين الذين يملكون الارض وبين الذين يعملون عليها- بين السادة وبين العبيد-؛ وانقسام العمل الى عمل فكري وعمل يدوي على الصعيد التقني؛ وثنائيه الحكام والمحكومين على الصعيد السياسي مع نشوء الدولة والبيروقراطية؛ وعلى الصعيد الروحي أخيراً ثنائيه الاديان والفلسفات المبررة لجميع هذه الثنائيات [١].

((ان ثورة على مستوى مشكلات عصرنا لا يمكن ان تكتفي بالقيام بأول اختيار للغايات منذ عصر النهضة والقطعية مع قدسية النظام؛ بل ينبغي ان يكون هذا الاختيار من صنع الجميع، لا من صنع بعض القادة -من فوق)) [٢].

ان البيروقراطية* التي عاصرة ميلاد الحضارة، سمة مميزة لكل مجتمع ثنائي، وهي بحكم كونها ((تعتبر تأسيسياً عن استلاب المصلحة الخاصة- كما كتب ماركس-، تُلبس جميع اشكال السيطرة وجهاً غفلاً، فهي في الثنائية السياسية اساسها وقاعدتها ... أما من وجهة النظر السياسية فالبيروقراطية نظام للحكومة يتسم بثلاث سمات رئيسية: جهاز الدولة مؤلف من موظفين معينين وغير منتخبين، وخضوع سلك الموظفين هذا، المنظم تنظيماً هرمياً لسلطة عليا مستقلة بذاتها، واقصاء الموظفين بفعل هذا النمط من الحكم عن كل مشاركة ، واخضاعهم على العكس للرقابة والدمج))[٣] .

كذلك يرى غارودي بعد ان يبدل الضمائر لدى المسيحيين والماركسيين ((ان المسيحية والماركسية على حد سواء قد عجزتا حتى الان عن الوفاء بوعدهما، فالمسيحية التي كانت تعلن عن وجود متعال لنظام مراد من الله وتدعو بني الانسان الى الاعتراف بهذا النظام والقبول به، كانت تجرد الانسان من مسؤولية تاريخه ومن مسؤولية خلقه وابداعه، والماركسية هي الاخرى لا تستطيع ذلك، ما دامت مشوبة بالمادية الميكانيكية و بالوضعية، وان تتيح للانسان امكانية الأنسلاخ عن قدره ليصبح

---

(١) ينظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية، المستشار سالم علي البهنساوي (ت: ١٤٢٧هـ)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ، ١٤١٠ هـ /١٩٩٠ م، ٢٣ .

(٢) سلام في الغرب، روجيه جارودي، دار الهادي، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ، ٦٨ .

* البيروقراطية: هي كلمة ألمانية ومعناها مكتب، المستخدمة في بداية القرن ١٨ وتعبر عن الشركة وتعني قوة المكتب أو سلطة المكتب، فهي مفهوم يستخدم في علم الاجتماع والعلوم السياسية يشير إلى تطبيق القوانين بالقوة في المجتمعات المنظمة. وتعتمد هذه الأنظمة على الإجراءات الموحدة وتوزيع المسؤوليات بطريقة هرمية والعلاقات الشخصية؛ ينظر: المورد الحديث، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٧١.

(٣) سلام في الغرب: ٦٨ .

مبدع تاريخه وخالقه، والإمكانيات الجديدة تولد اليوم من ازمة مزدوجة –إيجابية البشائر– تعاني منها المسيحية والماركسية على حدٍ سواء))[١] .

((لم ينجح النظامان الاجتماعيان في الشرق والغرب لا الاول ولا الثاني بالإجابة على هذه الاسئلة الخاصة بالأهداف النهائية، ففشلت الرأسمالية لأنها لا ترى أي هدف سوى النمو الكمي لإنتاج السلع والخدمات وارباحها، وفشلت اشتراكية الدولة في نموذجها السوفيتي، واتخذت لنفسها هدفاً، لكن اتضح انها غير قادرة على الوصول اليه بالوسائل التي استخدمتها، ولدت كل منهما على نفس التربة الثقافية الغربية، اشترك النظامان في اليقين الزائف نفسه، الصادر من غرور النهضة، وهو ان العلم التجريبي الرياضي يمكن ان يجيب عن كل المشاكل ويحلّها، الوسائل الهائلة التي خلقها ستضمن السعادة، فشل العلم التجريبي في ذلك، مثلما فشل علم الاجتماع الوضعي افلست هذه الفرضية الأولى، مثلما فشلت في ان تحل محل الاخلاق، وبالتالي فشل العلم التجريبي والتكنولوجيا في ان يقودا الانسانية بنجاح))[٢] .

((مازالوا يطرحون نفس السؤال: هل يستطيع الكمبيوتر ان يحل مكان العقل البشري؟.. سؤال مبهم؟ لأنه لا يتلاءم مع الفروق الجوهرية بين الوسائل والاهداف النهائية))[٣].

((اذا كان هذا التساؤل حول النهايات هو خاصية الأديان، فلماذا لم تستطيع الأديان الكبرى الحالية، خصوصاً تلك التي اكثر انتشاراً في الغرب المسيطر، المسيحية وبصفة خاصه الكاثوليكية، ان تطرح هذه الأسئلة وتساعد على الإجابة عنها؟، لأنها متصلة بثقافة وحيدة، حرفتها وافسدتها التصور المنغلق على فكر ارسطو، ثم التصور المغلق للأله العلّي القدير في الكتاب المقدس، ثم التصّور المنغلق للنهضة– الذي أفسد حتى معنى الانسان– التصّور الذي قُبل في صمت لفترة طويلة، لكنهُ أُدمج اخيراً في (الحداثة) بمعنى اولية العلوم والتقنيات من اجل معايرة الحضارات الاخرى، وتلك الاسهامات (المسيحية) في (اخطاء التوجه) للغرب الذي اصبحت تنتسب اليه))[٤] .

((لم تستطع المسيحية ان تعيد تشكيل الحضارة الغربية التي تعتبر نفسها نموذجاً للحداثة))[٥].

في العالم الذي نحن ازاؤه –إذان– اغنى بما لا نهاية له، مما كان يتصّور بأشكال حين سلّم بوجود تكوين واحد من اللامتناهي في الكبر حتى اللامتناهي في الصغر على مقياس اصغر، فيكون علينا من وجهة النظر هذه ان نجد في كل مكان المفاهيم الاوائل نفسها، ولكن الواقع اغنى كثير من

(١) فكر جارودي بين المادية والإسلام: ١٤٠.
(٢) حفار القبور: ٨٨ – ٨٩ .
(٣) المصدر السابق: ٩٠ .
(٤) سلام في الغرب: ٧٦ – ٧٧ .
(٥) حفار القبور: ٩١ .

هذا، فكل مرتبه جديدة تتيح لنا التجربة النزول اليها تأتينا بحقائق جديدة، وتطلب منا بإلحاح جهداً في البناء النظري[١].

((حين يؤكد الفلاسفة المثاليون، او يؤكد علماء طبيعيات يشاركونهم مفاهيمهم، امثال ادينفتون، وجانس، وجوردان، وديراك، وروسل.. وسواهم، اقول حين يؤكد هؤلاء بأن نواحي التقديم الحديثة التي حققها علم الفيزياء تبرهن على عدم وجود عالم واقعي مستقل عن الفكر، وان ارادتنا معرفة العالم الواقعي تصطدم بحدود لا يمكن اجتيازها، وان السببية والجبرية لا يمكن ان يبحث عنها الا في اذهاننا، فان هؤلاء لا يكونون محركين من قبل منطق البحث العلمي وحده، فهم يحاولون تبرير مفهوم عن العالم، اختاروه سلفاً لأسباب غير فيزيائية))[٢].

((ان جوهر ازمة الفيزياء المعاصرة ينحصر في انقلاب القوانين القديمة رأساً على عقب، وانقلاب المبادئ الاساسية، وفي انعكاس الحقيقة الموضوعية الموجودة خارج الوعي، يعني في احلال المثالي واللاادارية في المادية))[٣] .

ولقد صدق روجيه غارودي عندما قال: ((إن الحضارة الغربية ارتكبت أعظم جرم عرفه التاريخ بحق ثقافات العالم وشعوبه، لتبني لنفسها حضارة سلطوية شرسة تتجه اتجاهًا كارثيًا مخيفًا ربما يؤدي في النهاية إلى الدمار))[٤].

اما ثقافة اللا معنى تجاه العلم التجريبي الغربي، فيقول غارودي عن تلك الثقافة:-

((الثقافة المنفصلة عن البناء الاجتماعي، تتجزأ كلياً في اوربا، لعبت الثقافة والايديولوجيات دائماً في الحياة السياسية، كمثال على ذلك في اوروبا المسيحية، في عصر والثورة الفرنسية، قرون القوميات – والقومية الماركسية وثورة اكتوبر))[٥] .

---

(١) النظرية المادية في المعرفة، روجيه غارودي (ت: ٢٠١٢ م)، ترجمة: محمد عتياتي، القاهرة ، (د- ط)، ٢٠٠٥ م، ٢٦ .

(٢) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة)، يوسف العاصي إبراهيم الطويل، صوت القلم العربي، مصر، ط٢، ١٤٣١هـ/٢٠١٠ م، ٤٨٩/٤ .

(٣) حفار القبور: ٩٠ .

(٤) نحو حرب دينية؟ جدل العصر: ٨٤ .

(٥) المصدر السابق: ٨٤ .

* توكفيل: هو ألكسيس دي توكفيل (١٨٠٥-١٨٥٩) عالم اجتماع ومنظر سياسي فرنسي سافر إلى الولايات المتحدة سنة ١٨٣١ لدراسة سجونها وكتب 'الديمقراطية في أمريكا' (١٨٣٥) الذي يعد اشهر كتبه وواحدة من أكثرها تأثيرًا في كتب القرن التاسع عشر مع ملاحظاته القوية حول المساواة والفردية، ويظل عمل توكفيل تفسيرًا قيمًا لأمريكا للأوروبيين وللأمريكيين لأنفسهم؛ ينظر: الموقع
https://ar.royalmarinescadetsportsmouth.co.uk/alexis-de-tocqueville

((انطلاقاً من هذا البناء الاجتماعي، الايمان كمعنى للحياة لا يمكن ان يعيش الا داخل بعض الجماعات التي احتفظت بهوية ثقافتها القديمة، او عند بعض الافراد الابطال .... كشف (توكفيل)* الثاقب الفكر والمراقب الاول للولايات المتحدة عام ١٨٤٠ في كتابه المشهور: (الديمقراطية في امريكا) عن الاساس لهذه الآلية بقوله: (لم اعرف شعباً يكن كل هذا الحب والولاء للمال) شعباً هو (جماعة من المقامرين والمضاربين)، واكمل (توكفيل): (يمكن لأمة ديمقراطية مماثلة للأمة الامريكية ان تمهد الطريق للاستبداد والطغيان سيصبح هذا الاستبداد والطغيان اكثر انتشاراً واكثر تركيزاً من الذي كان لأمراء اوروبا، يحط من قيمة البشر دون أن يؤلمهم... وهذه الكلمات لمحلل خارق تعود مائة وخمسون عاماً، اصبح الاعلام سوقاً ضخمة، اكثر اتساعاً ايضاً من سوق الصناعة والمال، وهو ما اسماه الآن كوتا (الرأسمالية الاعلامية)، مكملاً الثالوث المؤسس للتلاحم الاجتماعي))[١] .

اصبحت (الحقيقة) سلعة تباع وتشترى، ويتم تكييفها طبقاً للهدف المطلوب، اذ يعتمد الاعلام من الان فصاعداً على دعم الاعلام الذي يتحكم في تمويل البرامج واختيار ممثليها، وبالنسبة لكبار ملوك الصحافة، ماردوخ، وماكسويل في فرنسا (هيرسان الاعلام) هو سوق مثل الاسواق الاخرى، والحقائق تباع مثل المنتجات الأخرى ايضاً، اكبر ثلاث وكالات غربية للصحافة، روتير، واسوشيتد برس، وفرانس برس، هي التي تعزز وتحدد للعالم كله ما يراه، وما لا يجب ان يراه، وبأي حجم وتركيز وتكرار[٢].

((خطط عمالقة هوليوود لغز اوربا والعالم عن طريق الاسلوب الاقتصادي القديم للاحتكارات الكبرى: بالتكتلات، بالتملك، او بالشراء الغامض لثاني اكبر شركة انتاج فرنسية – يانية – التي من الصعب معرفة في اي خليط تمت اذابتها، واستخدم نفس المفترسين سلطة الدول: اتفاقيات بلوم – بيرنز في عامي ١٩٣٦م – ١٩٤٥م التي منحت للفيلم الامريكي نصيبه في السوق ... (حداثة) وفن (البوب) و(الرسم الحديث) و(الموجة الحديثة) و(الرواية الحديثة) وايضاً (الفلسفة الحديثة) – التي تتصف بانعدام الفلسفة – تعمل على محق انسانية الانسان في كل مجالات الثقافة اصبح هذا التغييب للإنسانية هو معيار المهم (للحداثة)، في كل المجالات، ومن اجل اسباب الهيمنة الاقتصادية، الهيمنة القصيرة جداً،فان كل الثقافات الاوروبية في طريقها الى التحول الى الطريقة الامريكية المثال الاكثر تحديداً تأثيراً هو التلفزيون، بما انه لا يتوقف عن عرض المشاهير والعباقرة)) [٣] .

هكذا نشأت ديكتاتورية لقياس عدد المشاهدين للبرنامج، تحدد في نفس الوقت اسعار الاعلانات والميزانية المخصصة للبرامج، اعلن ألبير إشالم، احد منتجي برامج المنوعات على TFI ((اذا

(١) أمريكيا طليعة الانحطاط : ٣١ .

(٢) ينظر: المصدر السابق، ٣٢ .

(٣) النظرية المادية في المعرفة: ٢٨ .

قدمنا برامج عالية المستوى انخفض عدد المشاهدين، منهم لايفكرون ؟؟. اذن لنتوقف عن لعب دور المعلمين))[١] .

عندما يخضع التلفزيون والاعلام لقوانين السوق، فهل ننتظر الاّ السفاهة والتفاهة والسطحية؟، وعند التعرض للقضايا المهمة، هل ننتظر الا التزييف والتزوير والانتهازية؟ دون اي شئ يمكن ان يساعدنا على فهم احداث نهاية هذه الالفية الثانية، الاّ في جرعة عاجلة وبعد الحادية عشرة مساءاً !! [٢] .

ويرى غارودي ((بان النظرية لواحدانية السوق والسيطرة الامريكية قد كشف عام ١٩٩٢ عن الفشل المزدوج للحضارة الغربية في نموذجها السوفياتي الذي قاد الى نظام تعسفي ، وفي نموذجها الامريكي الذي اعادنا الى الغابة ... المشكلة الاكثر عمقاً والاكثر اهمية للمستقبل هي تلك الخاصة باختيار الاهداف النهائية، اي انها مشكلة دينية))[٣].

((منطق السوق ليس اقل تخريباً في تدمير العلاقات الانسانية، خلق هذا المفهوم الكمي – غير المحدود بالطبع – للرغبات واشباعها، غاية في المصالح المتصارعة التي تترم من خلال العنف الفردي والاجرام، والصراعات الاجتماعية، وعلى المستوى العالمي عن طريق (توازن الرعب)، اذاً استُبعد كل مشروع شامل وكل هدف نهائي انساني خالص، فالإنسان ذئب لأخيه الانسان، البقاء للأصلح))[٤].

إن غارودي من خلال نظرته السياسية ونظرته للجانب الاقتصادي، يتهم الولايات المتحدة بحزبيها (الجمهوريون والمحافظون)، وكذلك الشخصيات الليبرالية امثال: ريجان، وتاتشر، وبوش، والآخرون في اليسار المسمى (تقدمياً)، هؤلاء واولئك كلهم لديهم نفس التكوين ونفس الدين: وحدانية السوق، ونفس مستقبل التقاعد ثم التكدس في المجالس الادارية للشركات[٥].

((على المستوى العالمي، يقود هذا المفهوم على طريقة داروين (المنافسة الحرة) حيث الاقوياء فقط هم المدعوون للبقاء على قيد الحياة، يقود هذا المنطق نفسه الى تدمير فائض سكان العالم الثالث، كما اقترحه من قبل هنري كسنجر في مذكرته الدبلوماسية السرية الى الرئيس فورد في ١٦ اكتوبر عام ١٩٧٣ (نشرت في الارشيف القومي الامريكي في ٢٦ من يونيو عام ١٩٩٠)، انطلاقاً من اطروحة مالتوس، اوضح كسنجر ان خفض سكان العالم الثالث كان مشكلة (امنية) للولايات المتحدة الامريكية ... لابد ان تؤسس السياسية الجديدة على وحدة العالم، وبصفة خاصة

(١) المصدر السابق: ٢٨.

(٢) المصدر السابق:٢٩ .

(٣) ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية العالمية– روجيه جارودي– ترجمة: مصطفى كامل فودة، إصدار دار الشرق، القاهرة، ط٢ ،١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ١٦١ .

(٤) ملف إسرائيل: ١٦١.

(٥) ينظر: حفار القبور: ١١٣ .

على التعاون الوثيق مع العالم الثالث، الشركة التاريخية التي تهددنا شركة اقتصادية : الولايات المتحدة الامريكية المتحدة، الاحزاب، السياسات، بالمعنى التقليدي، منضمون لهذا الانحطاط الموحد الابعاد للعالم والانسان، لا يجب اذن ان تستهدف السياسة الجديدة فقط الاستحواذ على السلطات (السياسية) لكن العمل على تحطيم السلطة الاقتصادية للسيد الحالي: الولايات المتحدة الامريكية، الشركة التي تهددنا هي شركة عملاق ذي اقدام من الطين، الولايات المتحدة الامريكية، التي تعتمد في هيمنتها العسكرية على قاعدة اقتصادية هشة، لا بد اذن من مهاجمة العدو من نقطة الضعف هذه، في اي شيء يكمن الأمل في استعادة مستقبل ذي وجه انساني))[١] .

((ولقد تأكدت الادارة السياسية للسيطرة على العالم، وبكثير من الوقاحة بعد تدمير العراق، امامنا وثيقتان واضحتان جداً، صدرتا عن البنتاغون، كتبت الوثيقة الاولى بأشراف بول ولفوفيتش، وكتبت الثانية بأشراف الاميرال جيريمياه، الرئيس المساعد للجنة رؤساء الاركان وهذه مقـاطع من الوثيقتين:-

الولايات المتحدة هي وبشكل قاطع حامية للنظام العالمي، وعليها ان تضع نفسها في وضع تستطيع من خلاله التحرك بشكل مستقل عندما لا تتوفر ظروف العمل الجماعي او في حالة وجود ازمة ما تستدعي القيام بعمل فوري، يهدف التحرك الى منع قيام نظام جماعي للأمن تقوده الولايات المتحدة والعمل على خصوم محتملين، ما كان عليهم التطلع للعب دور اكبر ولتحقيق هذا الدور لا بد لهذا القوة الخلاقة ان تتمتع بقيادة خلاّقة وقوة عسكرية كافية لأقناع اي امة من الامم، او اي مجموعة من الامم ان تقلع عن تحدي تفوق الولايات المتحدة، هذا التسلط الذي بدأ بأكبر حملة عرقية، وهي ابادة هنود أمريكا، ثم استمر من خلال الرق والتمييز العنصري ضد السود، وحماية طغاة امريكا اللاتينية الاكثر دموية في العالم كلّهُ، ثم على امتداد العالم كله، من موبوتو في افريقيا، حتى ماركسوس في الفلبين، وارتكاب المجازر مثل يوم القيامة في هيروشيما، ومجزرة العراق، وما ترتب على ذلك من خلال التدخل المباشر، بواسطة قادة الانقلابات العسكرية التي تسببت بضحايا انسانية لم يعرف مثلها التاريخ كلّه))[٢].

المبحث الثالث : غارودي والدين الإسلامي (تجاه الفكر الاسلامي) :

إن أشهر من أنصف الإسلام في الغرب في القرن العشرين هو الفيلسوف الفرنسي روجيه غارودي، الذي كان من أكبر المتحمِّسين للشيوعية والفلسفة، وكان غارودي قبل أن يشهر إسلامه شديد الوعي بهذه التجربة العسكرية الإيمانية الفريدة؛ إذ نجده يقول:((إن انتشار الإسلام لا يشابهه أي انتشار سبقه أو أتى بعده، من غزوات كانت يقوم بها بدو آسيا، وكذلك من احتلال قام به الأوروبيون

(١) كيف نصنع المستقبل: ٥٧ .

(٢) امريكيا طليعة الانحطاط: ٥١ -٥٢ .

لغزو البلاد الضعيفة بالمدفع والبندقية والرشاش، فلم تكن الجزيرة العربية آهلة بالسكان، ولم يمتلك العرب مثل ما كان في بلاد فارس أو بيزنطة من الأسلحة والتقنيات العسكرية؛ فالإمبراطورية الإسلامية إذاً لم تقم على مبدأ القوة الذي يمنحها تفوقاً عسكرياً ساحقاً، ولا يمكن فضلاً على ذلك تطبيق أي من النظريات ذات المنحى الماركسي الضيق ..))[١] .

ويقول غارودي: ((إن هذا التوسع الإسلامي السريع، والذي أدى غداة وفاة النبي (ﷺ) – خلال اثني عشر عاماً من عام ٦٣٣ ميلادية حتى عام ٦٤٥ ميلادية– إلى تثبيت تفوق المسلمين في فلسطين وسوريا وما بين النهرين ومصر، وهو انتشار لم يستطع إيقافه إلا العوائق الطبيعية فقط كسلاسل الجبال في آسيا الوسطى وفي إيران الشرقية وصحارى سيبيريا، إن سبب هذا الانتشار السريع يرجع إلى أسباب داخلية مرتبطة بجوهر الإسلام نفسه ولا يمكن تفسيره بأسباب خارجية أو حتى بضعف أو تفكك الإمبراطوريات المهزومة مثل الرومانية في الشرق، والفارسية وقبائل القوط الجنوبية في آسيا الوسطى ولا حتى لأسباب عسكرية فقط))[٢] .

((ان تبني الغرب للمسيحية على انها مكملة للوعود التي وعد بها (الاجداد)، مضافاً اليه المفهوم اللاهوتي القائل بأن العهد القديم ليس الاّ (كتابة) عن العهد الجديد ... قد ادى الى اعطاء هذه النصوص اهمية فائقة بحيث طمست ماسواها، وكان لعملية اسقاط للاهوت على التاريخ قد ادت الى النظر الى الرموز اللاهوتية الكبيرة في التوراة على انها وقائع حقيقية، لقد بقيت النصوص التوارثية حتى بعد خضوعها للنقد الجاد سلاحاً او نقطة انطلاق في كل تحليل لتاريخ الشرق الاوسط لدى المؤرخين الذين لا يأخذون باليهودية او المسيحية))[٣] .

((ليس للتاريخ معنى انساني حق الاّ حين يأخذ بيدنا لأستشراق المستقبل، ويدفع بنا الى تطور مشروع سياسي يستمد معناه الانساني من نظراته الى التاريخ في صيرورته، وان محاولتنا التي نقوم بها لتحديد تاريخ فلسطين على انها مهد للرسالات السماوية التي تقودنا الى طرح مشكلة اوسع، فمصير كوكبنا اليوم مرتبط بحل هذه المشكلة: هل نختار نموذج المجتمعات (المغلقة) التي تلد في المستقبل دولاً متجابهة تقوم على توازن الرعب النووي؟، ام نختار نموذج المجتمعات المنفتحة لنصل الى (علم) حضاري، عالم الحوار والانتماء المتبادلين. وهكذا تكون حياة اطفالنا القادمة رهناً بهذا الخيار ... فهل ندع عالم التسلط والقهر يدّمر نفسه؟ ام نعمل على بناء عالم متجانس متناغم ؟... فان بحثنا التاريخي لا معنى له الاّ حين يسهم في ايجاد الحل اللازم عبر مزيد من الفحص و التأمل في تاريخ فلسطين، مهد الرسالات السماوية))[٤] .

---

(١) الإسلام دين المستقبل: ٤٠.

(٢) المصدر السابق: ٤٠.

(٣) فلسطين ارض الرسالات السماوية، غارودي، ترجمة: قصي اتاسي، دمشق، ط١ ، ١٩٩١م، ١٧ .

(٤) من أجل حوار بين الحضارات، روجيه جارودي ، دار النفائس، ط١، ١٤١١هـ، ٤٣ .

ان موقف المفكّر غارودي من العقيدة الاسلامية، الذي يعد النزاعات الاسلامية الاصولية، تخوّن الاسلام وتشوّه تعاليمه، على ما يظهر ذلك لدى من يدعوهم (الفقهاء الآتين من خارج الاسلام) اذ يدعون بأنهم حراس الاستقامة ويعتبرون انفسهم موظفي المطلق، كما جاء في كتابه (الاسلام)، ومن هنا يدعو غارودي الى احياء الشريعة في حقيقتها، فهو يعتبر بأن (الفكر النقدي) وحدهُ ينُقذ الاسلام من مرضه الرئيسي (قراءة النصوص المقدسة بعيون موتى)[١] .

((وهكذا يعلن غارودي الحرب على الاصوليات الدينية، بأسم الوفاء للشرائع الحقة والبدايات العظيمة المنتهكة فكراً وممارسة لدى الاتباع ، سواء من قبل الحركات والاحزاب الدينية الايديولوجية والسياسية او من قبل القيمّين على المؤسسات الدينية الرسمية من فقهاء وبابوات خصوصاً على جهـة الازهر وعلى جهة الفاتيكان))[٢]

حاول غارودي في مشروعهُ الرامي الى محاربة الايديولوجية الاصولية وهو مشروع قد بدأه بكتابه المسمى: اصوليات، ثم فصلّهُ في ثلاثية نقدية صدرت تباعاً كل جزء منها مخصص لأحدى الديانات التوحيدية الثلاثة:-

الأسلام: هو نقد الاصولية الاسلامية، و(نحو حروب دينية) وهو نقد في الاصولية المسيحية، و(الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية) وهو نقد الاصولية اليهودية [٣] .

يشتغل غارودي بمنطق البعث والاحياء، فالهدف عندهُ هو أعادة الأسلام الى شبابه الأول، حتى يستعيد من جديد انطلاقته الاولى وديناميته الأصيلة، وهو يطلب بتجديد الفكر والاجتهاد على النحو الذي يمكّن المسلمين من ان يكونوا ذاتاً فاعلة في التاريخ، وقد هاجم التيارات السلفية والعقليات الجامدة والقراءات الحرفية، وهو يسّفه الرأي القائل بأن القرآن ينطوي على أجوبة لكل مشكلاتنا الراهنة، ويطلب من المسلمين الأقلاع عن استخدام ((صيغ القدامى وطرائقهم)) بابتكار طرائق جديدة لمواجهة واقعهم وايجاد الحلول لمشكلاتهم [٤] .

((في المنظور القرآني ليس الانسان هو خليفة الله في الارض فحسب ومسؤول عن الطبيعة وتوازناتها على المستوى العالمي، ولكن عقيدته هي مبدأ عمله وقوانين مجتمعه، فلا الاقتصاد ولا السياسة ولا العلم ولا الفنون تستطيع الانفصال عن العقيدة التي تعيّن لها غاياتها الالهية والأنسانية،

---

(١) ينظر: الاستلاب والارتداد: ٣٨ .

(٢) الاسلام هو الحل للازمات المتصاعدة في الغرب، روجيه غارودي، مطابع فتحي الصناعية، بورسعيد، (د- ط)، (د- ت)، ٦٢.

(٣) ينظر: وَا مُحَمَّدَاهُ {إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، دار العفاني، مصر، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦ م، ٣٦١/٤ .

(٤) ينظر: وعود الاسلام: ٦٧ .

فالحياة بجميع ابعادها، تجد في الله تعالى وحدتها))[١]، كما جاء في القران الكريم {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الحديد: ٣].

يرى غارودي بأنه حكم على الانسان في مجتمعاتنا الغربية منذُ عصر النهضة بالوحدة والأنعزال بأزاء الناس الآخرين، هذا النظام يوّلد بالضرورة العنف، ولاسيما لدى الشباب المحرومين من الاشياء التي يلّقن الرغبة بها، والتي يمتلكها الأوفر حظاً من اليسر، الوارثون للثروة او المعرفة بالمضاربة او الغش والاحتيال [٢] .

((الوعي اليوم بما ندين به للإسلام ليس قط من تخصص مؤرخ ، مفارقة هاوٍ او تلذذ حالم، ولكن مهمة عامل ملتزم، مناضل مبدع للمستقبل .

ان الاسلام لم يعد ذلك (الكافر) في زمن الصليبيين او الـ (ارهابي) في حرب التحرير الجزائرية، ولم يعد ذلك الأثر في المتحف الذي يتصفحهُ المستشرق بعين العالم الأختصاصي بعاديات الحضارات، انطلاقاً من الحكم السبقي بأمتيازية الغرب،... انما الاسلام هو تلك الرؤية لله، وللعالم وللإنسان التي تنيط بالعلوم وبالفنون وبكل انسان وبكل مجتمع مشروع بناء عالم آلهي وانساني لا الفصام فيه باقتضاء البعدين الأعظمين؛ المفارقة والجماعة؛ التسامي والامة))[٣].

لقد انقذ من قبل، في القرن السابع من تاريخنا من التفتّت امبراطوريات عظيمة متهاوية، أفلا يستطيع اليوم ان يسهم بالأجابة على جزع ومسائل حضارة غربية، تكشفت عن أنها بمدة اربعة قرون، قادرة على ان تحفر قبراً على مستوى العالم، وأن تعمل على تغطية اسطورة انسانية أنشئت منذُ مليوني عام، بفعل الابتكارات والتضحيات[٤].

هذه المشكلة التي يبذل غارودي جهده في هذا الكتاب (وعود الاسلام) ان لم يكن في حلها، فعلى الاقل في طرحها، ان الاسلام هو بصورة لا تتجزأ دين وجماعة؛ عقيدة ونظام حياة، فنشأته وانتشاره يطرحان مشكلة نوعية: سوف يكون من العبث الاكتفاء بالقول ان شبه الجزيرة العربية ومكة والمدينة تقع عند ملتقى الطرق التجارية الكبرى والقوافل القادمة من الشرق الى الغرب، من اوربا والى الشرق الادنى الى الهند والى الصين ومن البحر الأبيض المتوسط الى المحيط الهندي، اذ قد يفهم من هذا القول انه في هذا الملتقى من الحضارات امكن فحسب حدوث تمازج بين الأديان والثقافات وليس الاسلام في ذلك الاّ المحصلّة والمبلّغ، و الحال ان الامر تماماً على العكس، فأنه انطلاقاً من مكة والمدينة، من شبه الجزيرة العربية بصحاريها وبواحاتها سوف تشع، لمدة قرون على القارات

(١) المصدر السابق: ٦٧.

(٢) ينظر: وعود الاسلام: ٦٨ .

(٣) المصدر السابق: ٦٨ .

(٤) ينظر: الاسلام هو الحل للازمات المتصاعدة في الغرب: ٦٤ .

الثلاث من الهند الى اسبانيا ومن اسيا الوسطى الى قلب افريقيا، عقيدة وحيدة وجماعة وحيدة، الامر الذي ينشأ عنه ثقافة بعينها مخصبة ومجددة لجميع الثقافات الاخرى [١] .

((ان اختيار النبي وانتصاره في شبه الجزيرة العربية وتقدم خلفائه الخاطف بالسيطرة في اقل من قرن بعد وفاته، على كامل العالم المعروف عندئذ تقريباً باستثناء من أوروبا الخاملة ومن صين صاعدة نحو ذروة تقدمها، لا يمكن ان يفهم بدون الاعتراف بمكانة أولى لرسالة نوعية للإسلام، ويمكننا دون جدوى استنفاذ مخزون التفسيرات السياسية والعسكرية والدبلوماسية والاقتصادية والجغرافيا او غيرها فإن انتصار الإسلام مستغلق على الافهام بدون الإسلام، كعقيدة وكجماعة قائمة على هذه العقيدة، حتى لو لم يكن المرء مسلماً ولو لم يكن يعترف بالقرآن كتاباً موصى به من الله الى محمد (ﷺ) فإنه من المستحيل على المؤرخ ان يرفض الاخذ بعين الاعتبار كحقيقة واقعة يتعذر ردها، ذلك الانبثاق لينبوع الحياة الذي راح يقلب أوضاع العالم))[٢] .

((ان ينبوع الحياة هذا، هذا الخلق الدائم هو ما اطلق عليه البشر منذ آلاف السنين اسم الله، لم يدع النبيُّ محمد (ﷺ) ابداً يأتي بدين جديد، وانما يواصل ويجّدد ويتمم تلك العقيدة الأصلية التي كان يجد لها في العقيدة ابراهيم، التعبير الأمثل، وان كلام الرسول المتم لكلام ذرية طويلة من الانبياء – لاسيما ابراهيم وموسى وعيسى – قد ظهر في لحظة فاصلة من التاريخ))[٣].

ففي زمن ظهور الرسول(ﷺ) كان الفحوى الديني في برقشته مُشكّلاً اذن من وثنيات متعدد الألهة من معناها الأنساني ومن طقوسية يهودية جافة ومن (طوائفية) مسيحية، وكانت هذه الأيديولوجية المتبانية جميعها والمتناقضة والمنفصلة عن الحياة تفاهم التفكك الأجتماعي عندئذ كشف الرسول (ﷺ) عن عقيدة بسيطة وقوية، اعادت الروح لمجتمع جديد، ولم يَدع انه يؤسس ديناً بل جاء ليرشد الناس بوحي من الله، الى ان يتذكروا من جديد العقيدة الاصلية عقيدة إبراهيم– اعني ألا نعبد الاّ إلهاً واحداً، وأن ننبذ اذن المعتقدات الباطلة الطفيلية والطقوس التي لا حياة فيها، لم يكن ذلك استبعاد جميع اشكال الشرك بتعدد الآلهة وعبادة الاوثان، وانما اخضاع كل سلطة وكل ملكية وكل معرفة لمفهوم النسبية[٤] .

((ان الله اكبر من اعظم الملوك، واليه وحدهُ يُدان بالاجلال المطلق، فها هنا المبدأ بحق لا يجوز التصرف فيه، بالصمود في وجه كل طغيان وبمعارضة كل سلطة، الأساس الإلهي لمساواة جميع الناس من وراء أي تسلسل في المراتب الاجتماعية، وعند توجه الى صحابته بالكلام لأخره مرة

(١) ينظر: وعود الإسلام: ٦٩ .

(٢) الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، حسين حسينى معدى، دار الكتاب العربى، دمشق، (د– ط)، ١٤١٩هـ، ٥٩.

(٣) المصدر السابق: ٥٩ .

(٤) ينظر: دعوة الإسلام، روجيه جارودي، ترجمة: ذوقان قرقوط، الوطن العربي، القاهرة، (د– ط)، ١٩٨٤م، ٥٥.

بمكة في (حجة الوداع) في اذار ٦٣٢م ألح محمّد (ﷺ) على المساواة بين جميع الناس امام الله دون تمييز في الأصل والغنى او الدم كما جاء في القرآن: { إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ } [الحجرات: ١٣])) [١].

((من جهة اخرى، يدافع غارودي عن الاسلام ضدَّ مَنْ ارادوا أن يصوّروا للعالم بأن الاسلام دين القتل والحروب، وانه ابعد ما يكون عن بناء الانسان، فكراً وحضارةً، خصوصاً في هذا الوقت المعاصر، فقد عمد اعداء الاسلام وعلى رأسهم الصهيوامريكية الى تشويه هذا الدين القيّم، عندما صنعوا لنا تلك الجماعات الاجرامية التكفيرية التي فرقت عن الدين واساءات لهُ ايمّا اساءة، بعد ان شوهّت عقائدهُ ومضامينه السامية، التي اراد الله تعالى ان تكون لأكمال الديان عقيدةً وسلوكاً، كما ورد عن الرسول الاكرام (ﷺ):(إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ)[٢]، ويقول غارودي في دفاعه عن الاسلام: ان جميع النصوص التي استند اليها من يريدون ان يجعلوا من الاسلام (فزاعّة) دين سيف، كانت تفصل دوماً عن سياقها، فعلى سبيل المثال سميت الخامسة من سورة التوبة (آية السيف) باجتزاء { فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وجدتموهم } [التوبة: ٥] من بقيتها، التي تحدد ان المقصود محاربة اولئك الذين عاهدوا ثم نقضوا العهد او اولئك الذين يحاولون منع المسلمين من اداء شعائرهم الدينية)) [٣] .

بأختصار اذاً الحرب لم تكن مستبعدة، فإنها لم تكن مقبولة الاّ من اجل الدفاع عن العقيدة عندما تكون هذه العقيدة مهددة لا من اجل نشر العقيدة بالسلاح، فليس ثمة مايبرر الحرب، في رأي القرآن الاّ لرد عدوان او انتهاك حرمة وهما فعلان محرمان صراحة عند المسلمين انفسهم اذا أمتثلوا للقرآن [٤]، وجاء في القران الكريم {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [البقرة: ١٩٠] ، ((وما الكفاح المسلح بالنسبة لمن يمارس الجهاد، للمجاهد الاّ الوجه الثاني للجهاد، فهناك حديث مشهور يميز بين الـ (جهاد الاصغر) اي الدفاع عن العقيدة بالقوة ضد عدوٍ خارجي يهددها او يضطهدها، والـ (الجهاد الاكبر) وهو المعركة الداخلية للانتصار على انانيتنا وكبح عزائزنا والسيطرة على اهوائنا، لإخلاء المجال لأرادة الله، انما الجهاد الاكبر هو كفاح ضد الذات، ضد الميول التي تجذب الانسان بعيداً عن مركزه ، وهو مايقوده، باجتذابه نحو رغبات جزئية الى ان

(١) دعوة الإسلام: ٧٠ .

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، برقم ٢٠٧٨٢، ١٠ /٣٢٣.

(٣) دعوة الإسلام: ٧١ .

(٤) ينظر: وعود الاسلام: ٧١ .

يصطنع اوثاناً وبالنتجة يمنعه من الاعتراف بواحدانية الله والانتصار على هذه الوثنية الداخلية اصعب كثيراً ايضاً من الانتصار على المشركين في الخارج))[١] .

وكتب غارودي عن الصوفية التي هي بُعد من ابعاد العقيدة الاسلامية، وهي شكل من اشكال الروحية الاسلامية وهي توازن بصفة اساسية بين الجهاد الأكبر، اعني الكفاح الداخلي ضد كل رغبة تحرف الانسان عن مركزه والجهاد الاصغر اي العمل من اجل وحدة وانسجام الجماعة الاسلامية ضد الجميع اشكال الوثنية من سلطات وثروات وضلالات فبعده عن طريق الله ... ومن الخطأ اذن مماثلة الصوفية والتصوف بالزهد او النسك المسيحي او التأملّ الهندوسي، وبالغنوصيين في الاسكندرية وكتابات افلوطين وبحكم الهند وبالتقشف البوذي، وقد امكن لهذا الاخصاب المتبادل اغناء رؤية كل من هذه الاطراف لكل المنابع العميقة للتصوف تبقى في القرآن [٢].

((فالنسك المسيحي هو حوار مع شخص يسوع الذي حل الله به في حياة المسيحي، والحال ان يسوع بالنسبة للمسلم ليس فحسب انه لم يكن الاّ نبياً عظيماً ، ولكن الله نفسه لا يتجلّى كذلك ، فقد اظهر كلمته وشريعته. فالاعتماد بالنسبة لمسلم ان (الكلمة صارت جسداً) او الصاق اسم الـ (أب) بالله هو اساءة لسمو الله، فليس هناك من تماثل بين المخلوق و الخالق،... فمن الممكن ان نقرأ في القرآن قوله تعالى { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ } [ال عمران: ٣١]، الاّ انهُ ليس في الوسع ان يرى المرء في ذلك تلك (الالفة الحميمة) مع الله التي تميز العلاقة اعظم النساك المسيحيين))[٣]، ((ليس في وسعنا ان ننسى بأن الاسلام لا يمكن ان ينظر اليه فحسب من خلال الحلاج من خلال القرآن الكريم ونبيّه وان التصوف ما هو الاّ وجه لحياة تأملية وفعالة ومناضلة لا انفصام فيها كما تجلّت في حياة محمد(ﷺ) وعلّي وفي حياة عبد القادر الجزائري))[٤] .

كذلك يذكر غارودي مميزات الثقافة والحضارة الاسلامية في محاضرة القاها في باريس وتعتبر من اواخر ما كتب عن الاسلام، قال فيها عن مميزات الإسلام[٥]:-

١- الاسلام دين الوحدة، وهو بذلك دين المعنى والجمال بينما يقوم عالمناً اليوم على التنافس العددي الكمي وتبدو الاحداث وكأنها محصلة قوى عمياء غاشمة للمجابهة والعنف .

(١) المصدر السابق: ٧١ .
(٢) ينظر: المصدر السابق: ٧٢ .
(٣) الاسلام هو الحل للازمات المتصاعدة في الغرب: ٦٦ .
(٤) المصدر السابق: ٦٦ .
(٥) ينظر: وعود الاسلام: ٧٢ .

٢- ان القرآن يعلمنا ان نعتبر الكون وكأنه وحدة يقوم الانسان مع داخلها بالمشاركة في اداء واكتشاف معنى الحياة، بينما نسياننا للخالق يجعل منّا اشخاصاً يعيشون على هامش الحياة ويخضعون لحاجات ومصادفات خارجية .

٣- ان القرآن يعلمنا ان نرى في حادث وفي كل شئ آية من آيات الله ورمزاً لوجود اعلى يُسيرنا، ويسير الطبيعة و المجتمع وهدف الدين هو التناسق والوحدة الصادرة عن الله والعائدة اليه .

٤- ومن هنا يصبح الانسان مسلماً بمطلق ارادته وبمحض مشيئة واختياره وهو يتذكر الامر السامي الذي يجعل لحياته معنى، وهو مسؤول مسؤولية كاملة عن مصيره، مادام ان له مطلق الحرية في ان يرفض او ان يخضع للإرادة الله .

٥- والعقل الذي لا يكتفي بربط سبب بأخر وينتقل من نتيجة الى ما بعدها ليتوصل الى النتيجة النهائية، عقل متفتح مذعن لرسالات السماء يستفيد من هدايتها ونورها، كما كانت هذه الرسالات قد جاءت لتنير طريق العقل فهي كما ورد عنها: نور على نور[١] .

((امّا ما يعتبره غارودي من انجازات الأسلام التاريخية والاجتماعية والتشريع والسياسة انطلاقاً من المبادئ الاسلامية الاساسية التي هي: الله وحده يملك ؛ الله وحده يشرع؛ الله وحده ينهى))[٢] .

أما من النواحي الاجتماعية، فقد جاء في:-

١- الاقتصاد:

جاء في القرآن الكريم { وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ }[ال عمران: ١٨٠] ، ان هذا التصّور للملكية يقودنا، بصورة واضحة الى نقيض التصّور الروماني ففي الحق الروماني، الملكية هي (حق الاستعمال والاسراف) وسوء الاستعمال وهو مبدأ اساس في قانون نابليون وكل النظام الأقتصادي البرجوازي [٣] .

وبالنظر الى اعتبار المشروع في الحق الفرنسي، كامتداد للحق المالي الموروث فأن الحائزين على ملكيته يستطيعون وقف نشاطه ونقله الى حيازة آخرين او فصل هيئة العاملين فيه، بينما يعارض التصّور الاسلامي بدقة صارمة هذا النظام، ولا بد من رجوع الملكية الى الله تعالى، انما هي وظيفة اجتماعية، وعلى المالك اياً كان فرداً او جماعة، او حتى دولة، تقديم حساب ملكيتها فهو المسؤول عنها، ومن وجهة اخرى يعترف الإسلام بحق الملكية الشخصية المكتسبة بالعمل او بالأرث او بالهبة، وبالمحصلة فأن الاقتصاد الاسلامي في مبدئه القرآني لا يستهدف النمو ولكن يرمى الى التوازن [٤] .

---

(١) ينظر: المصدر السابق: ٧٢ .

(٢) دعوة الإسلام: ٧٣ .

(٣) ينظر: الاسلام هو الحل للازمات المتصاعدة في الغرب: ٦٨ .

(٤) ينظر: دعوة الإسلام: ٧٣ .

٢- القانون:

((ان تعاليم القرآن الأساسية بخلاف فرد نياتنا المبنية على شريعة الغاب هي قبل كل شيء، الا ينظر الى الانسان كحقيقة واقعة منعزلة، وانما على انه جزء من اكبر منه؛ الجماعة، الأمة، وفي نفس الوقت ان تحدد هذه الجماعة، هذه الامة، على انها منسقّة لغايات اسمى منها نفسها))[١] ، وبصورة عامة يقارن غارودي بين قواعد القرآن بقواعد جميع المجتمعات السابقة فإنها تسجل تقدماً لا مراء منه فيه، ولاسيما بالنسبة لأثينا ولروما حيث كانت المرأة قاصرة بصورة ثابتة، اما في القرآن فأنها تستطيع التصّرف بما تملك وهو حق لها، لم تعترف لها به في معظم التشريعات الغربية الاّ في القرن التاسع عشر والعشرين [٢] .

وقال غارودي عن تعدد الزوجات: ان تعدد الزوجات لدى المسلمين تعدد منضبط؛ ولدينا – يعني الغرب – فوضى تعدد، وليس التعدد اعتداء من الرجل على حق المرأة، بل يجب عليه شرعًا أن يوفيها حقها كاملًا، وأن يستمتع بما أباحه الله له، وأن يعدل بينها وبين ضرتها، فإن عجز عن العدل بينهن أو القيام بحقوقهن فلا يجوز له التعدد؛ لأن التعدد شرع لمصلحة الفرد والجماعة ولم يشرع فقط لإشباع شهوة الفرد، وكما أننا نسمع إلى من يطالب باسم الزوجة الأولى، فلا بد أن ننظر بعين العطف والشفقة إلى الزوجة الأخرى العوانس والمطلقات والأرامل... وأخيرًا فإن التعدد لمن استطاع العدل بين الزوجات جائز وليس بواجب[٣] .

٣- السياسة:

ذكر غارودي بقوله: ((النظام السياسي الاسلامي لا يمكن ان يكون متماثلاً لا مع الرأسمالية ولا مع الجماعة، كذلك لا يكون متماثلاً لا مع التيوقراطية او مع الملكات (ذات الحق الالهي) في الغرب ولا مع (الديموقراطيات) من النمط البرلماني، من وجهة النظرة الاسلامية هذه خاصة فأن الـ (أمة) بمعناها الغربي هي مرض غربي، ارث ضار من التجزئة الاستعمارية للأمة الاسلامية، وقس على ذلك بالنسبة للـ (ديمقراطية) بما فيها من مجابهات وتصادمات بين الافراد والجماعات المستقطبة بالتنافس والمتلكئة بفعل تلاعبات الـ (اعلام) المزعوم (وسائل الاعلام والدعاية والاستطلاع وجماعات الضغط وتكييفات نظام الانتاج والاستهلاك)، التي ليست لها اية علاقة بمبدأ الشورى بين الناس الذين تحكم بينهم لا العلاقة الافقية للمنافسة بل العلاقة الشاقولية لكل واحد بلا حدود))[٤] .

(١) الاسلام هو الحل للازمات المتصاعدة في الغرب: ٦٨ .

(٢) ينظر: المصدر السابق: ٦٨ .

(٣) ينظر: كيف نصنع المستقبل: ٥٨ .

(٤) حوار الحضارات، روجيه جارودي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط٥ ، ٢٠٠٣م، ٧٧ .

ويذكر غارودي في كلمة مختثرة، أن وظيفة السياسي –تجاه ناخبيه– لو التزم بها السياسيين وطبقوها على انفسهم لتغّير واقع العالم وخصوصاً في بلدنا العزيز، يقول في كلمته: ((ليست السياسة ان نطالب الأنسان بأن يعطي ما يملكه، وانما نطالبه بأن يعطي ما هو اشق من ذلك: ذاته وكينونته بأسرها))[١] .

فالعلم يهدى إلى الإيمان ويقوي دعائمه، والإيمان يدعو إلى العلم ويرغّب فيه، هذه العلاقة الوثيقة لا نجدها في غير الإسلام يقول روجيه غارودي: ((ولم يفصل الإسلام الحكمة عن العلم ولم يقبل معالجة أي فرع من فروع العلم بمعزل عن العقيدة التي هي هدف في ذاتها))[٢] .

ويقول غارودي: ((لقد وجدت في الإسلام نظامًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا وأخلاقيًّا يصلح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة))[٣] .

الخاتمة

بعد أن منَّ الله تعالى بإتمام هذا البحث، احمد الله تعالى على اعانته وتسديده وتوفيقه لي خلال هذه الرحلة العلمية، فقد آن لي الأوان أن أوجز أهم النتائج المتحصّلة من خلال هذا البحث الموسوم بـ (**فكر غارودي بين الاتجاهات الدينية والاتجاهات السياسية المعاصرة)**، وهي على النحو الآتي:-

اهم النتائج:-

١- يعد روجيه غارودي مفكراً فرنسياً فيلسوفيناً مستشرقاً معاصراً، وقد ترك مؤلفات عديدة في نقد الصهيونية والامبريالية الامريكية والرأسمالية والتي ظل فيها مدافعاً عن الاسلام ومناهضاً للرأسمالية والصهيونية .

٢- إن افكار غارودي كثير ما تثير الجدل في الغرب، خاصة بعد اعلان اسلامه سنة ١٩٨٢م متخذاً –رجاء – اسماً له، قائلاً انه وجد الحضارة الغربية بنيت على فهم خاطئ للإنسان، وهو خلال حياته كلها كان يبحث عن معنى معين لم يجده الاّ في الاسلام .

٣- بقاء غارودي على حالته الفكرية اذ استطاع ان يكوّن سبيكة عقلية، فلم يستطيع ان يفصل الماركسية عن المسيحية والاسلام، وقد عزز ذلك شخصيته المستقلة والمهمومة بمشكلات الواقع وتحدياته، رافضاً الاقصاء والارهاب الذي يمارسهما كل من يريد السلطة .

---

(١) المصدر السابق: ٧٧ .

(٢) نحو حرب دينية؟ جدل العصر: ٨٨ .

(٣) المصدر السابق: ٨٨ .

٤- يعد غارودي من ركائز الديمقراطية المهمة في العالم، مع ذلك قد جرت ادانته لكلامه على اسطورة المحرقة، فأعتبر شخصاً مخالفاً للقانون، وقد مُنع من نشر كتبه التي ينتقد فيها المشروع الصهيوني والسياسة الامريكية وحكم بالسجن على ذلك .

٥- يرى غارودي بان المسيحية لم ان تعيد تشكيل الحضارة الغربية التي تعتبر نفسها نموذجاً للحداثة في العالم الذي نعيشه، فكل مرتبه جديدة تتيح لنا التجربة ويجدر بنا النزول اليها لكي تأتينا بحقائق جديدة، بغض النظر عن التشكيك العقائدي المرفوض .

٦- حاول غارودي في مشروعهُ الرامي الى محاربة الايديولوجية الاصولية من خلال نقده للديانات التوحيدية الثلاثة، فعمل على نقد الاصولية الاسلامية، ونقد الاصولية المسيحية، ونقد الاصولية اليهودية .

٧- يعتقد غارودي بان الإسلام نظامًا اجتماعيًّا واقتصاديًّا وأخلاقيًّا يصلح لإخراج البشرية من ورطتها الحاضرة، اذ لم يفصل الإسلام الحكمة عن العلم، ولم يقبل معالجة أي فرع من فروع العلم بمعزل عن العقيدة التي هي هدفها في ذاتها اصلاح الانسان واخذه الى بر الامان .

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم :

١. الاساطير المؤسسة للسياسة الاسرائيلية، روجيه غارودي، ترجمة: محمد هشام، دار الشروق، مصر– القاهرة، ط١، ١٩٨٨م .
٢. الاستلاب والارتداد، علي حرب، مطابع فتحي الصناعية، مصر، ط١، ١٩٩٧م .
٣. الإسلام دين المستقبل، روجيه جارودي، ترجمة: عبد المجيد بارودي، دار الإيمان للطباعة والنشر، بيروت، دمشق، (د– ط)، (د– ت) .
٤. الاسلام هو الحل للازمات المتصاعدة في الغرب، روجيه غارودي، مطابع فتحي الصناعية، بورسعيد، (د– ط)، (د– ت) .
٥. إسلامية لا وهابية، د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار كنوز أشبيلية، (د– ط)، ١٤٢٥هـ .
٦. أمريكيا طليعة الانحطاط، روجيه جارودى، تقديم: كامل زهيري– تعريب عمرو زهيري، دار الشروق، مصر– القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م .
٧. البديل، روجيه غارودي (ت: ٢٠١٢ م)، ترجمة : جورج طرابيشي، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م .
٨. تهافت العلمانية في الصحافة العربية، المستشار سالم علي البهنساوي (ت: ١٤٢٧هـ)، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١٠ هـ/١٩٩٠م .
٩. حفار القبور، روجيه غارودي (ت ٢٠١٢ م)، ترجمة: عزة صبحي، القاهرة، ط١٩٩٩،١م .
١٠. الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم (الجذور – الممارسة – سبل المواجهة)، يوسف العاصي إبراهيم الطويل، صوت القلم العربي، مصر، ط٢، ١٤٣١ هـ/٢٠١٠م .
١١. حوار الحضارات، روجيه جارودي، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، ط٥ ، ٢٠٠٣م.
١٢. الحوار مع أتباع الأديان– مشروعيته وآدابه، منقذ بن محمود السقار، رابطة العالم الإسلامي، (د– ط)، (د– ت).
١٣. دعوة الإسلام، روجيه جارودي، ترجمة: ذوقان قرقوط، الوطن العربي القاهرة ، (د– ط)، ١٩٨٤ م
١٤. الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في عيون غربية منصفة، حسين حسينى معدى، دار الكتاب العربى، دمشق، (د– ط)، ١٤١٩هـ .
١٥. سلام في الغرب، روجيه جارودي، دار الهادي، بيروت، ط ١ ، ١٤١١هـ .
١٦. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
١٧. الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، أبو الحسن الندوي، مطبعة التقدم، القاهرة، ط٣، ١٣٩٧هـ.

١٨. فكر جارودي بين المادية والإسلام (نقد كتابات روجيه جارودي في ضوء الكتاب والسنة)، عادل التل، دار البينة، بيروت، ط٢ ، ١٩٩٧م.
١٩. فلسطين ارض الرسالات السماوية، روجيه غارودي، ترجمة: قصي آتاسي، دمشق، ط١، ١٩٩١م.
٢٠. كيف نصنع المستقبل، روجيه جارودي ، ترجمة وتقديم: د. منى طلبه – د. انور مغيث، دار الشروق، مصر– القاهرة، ط٣، ٢٠٠٢م .
٢١. ماركسية القرن العشرين، ترجمة لكتاب جارودي التحول الكبير في الاشتركية، تعريب نزيه حكي، ط٣، ١٩٧٢م .
٢٢. مجلة البيان (٢٣٨ عددا)، تصدر عن المنتدى الإسلامي (رقم الجزء، هو رقم العدد. ورقم الصفحة، هي الصفحة التي يبدأ عندها المقال في العدد المطبوع) "روجيه جارودي، جريدة: الرأي العام، العدد: (١١٩١٨) " ، (د– ط)، (د– ت) .
٢٣. محاكمة الحرية روجيه جارودى، جاك فيرجيش، الناشر دار الفيحاء للدراسة والترجمة والنشر، بيروت، (د– ط)، ١٩٩٨م.
٢٤. مستقبل الإسلام خارج أرضه، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط١، (د– ت) .
٢٥. ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية العالمية– روجيه جارودي– ترجمة: مصطفى كامل فودة، إصدار دار الشرق، القاهرة، ط٢ ، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤ م .
٢٦. من أجل حوار بين الحضارات، روجيه جارودي ، دار النفائس، ط١، ١٤١١هـ .
٢٧. موسوعة المذاهب الفكرية المعاصرة، مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net
٢٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤ ، ١٤٢٠هـ .
٢٩. نحو حرب دينية؟ جدل العصر– روجيه جارودى– دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، ط ٢، ١٩٩٧م.
٣٠. النظرية المادية في المعرفة، روجيه غارودي (ت: ٢٠١٢ م)، ترجمة: محمد عتياتي، القاهرة، (د– ط)، ٢٠٠٥م .
٣١. وعود الاسلام، روجيه غارودي، ترجمة: د. ذوقان قرقوط، دار البينة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٥م .